المحاضرة الثالثة: خصائص أدب الطفل

مقدمة:

يُعدّ أدب الطفل من أهم مجالات الإبداع الأدبي والتربوي، لأنه يخاطب مرحلة الطفولة التي تُشكّل أساس بناء الإنسان المتكامل، فهو ليس مجرّد كتابة مبسّطة للصغار، بل هو فنّ له خصوصية في اللغة والخيال والمضمون، يهدف إلى إمتاع الطفل وتعليمه وتشكيل وجدانه في آنٍ واحد، ولذلك فإنّ أدب الطفل يمتاز بمجموعة من الخصائص التي تميّزه عن سائر الفنون الأدبية، وتجعله أدبًا له ملامحه الفنية والنفسية والتربوية المتميزة.

أولًا: الخصيصة اللغوية

اللغة في أدب الطفل هي الجسر الأول بين النصّ والمتلقي، ولذلك يجب أن تُصاغ بعناية توازن بين البساطة والجمال.

1. البساطة والوضوح:

يُكتب أدب الطفل بلغة سهلة قريبة من وجدان الطفل، خالية من التعقيد والتراكيب الغامضة، لكنها في الوقت ذاته ليست سطحية، فهي تراعي مستوى الإدراك اللغوي لدى كل فئة عمرية.

مثال: في شعر أحمد شوقي للأطفال يقول:

"أصغِ سمعَكَ يا بُنيَّ للأماءِ وهي تجري"

اللغة هنا بسيطة ومباشرة، لكن فيها موسيقى وصورة فنية تُقرّب المعنى وتُنمّي الذوق.

2. المحافظة على الفصحى:

يُراعى في أدب الطفل أن تكون اللغة عربية فصحى سليمة، لأنّ الطفل يكتسب من خلالها النموذج اللغوي الصحيح، غير أنّ الكتّاب قد يستخدمون أحيانًا تراكيب عامية أو دارجة في الحوار لتقريب الواقع من الطفل، شريطة ألا تفسد سلامة النص.

3. الإيقاع الموسيقي:

اللغة في أدب الطفل لا تقتصر على المعنى، بل تعتمد على الموسيقى الداخلية والإيقاع، خصوصًا في الشعر والأناشيد، فالإيقاع يساعد الطفل على الحفظ ويثير المتعة الجمالية لديه، ولهذا يُعدّ الشعر التعليمي والأناشيد المدرسية من أنجح أشكال أدب الطفل.

ثانيًا: الخصيصة الخيالية

الخيال هو روح أدب الطفل، لأنه يفتح أمام الطفل أبواب الدهشة والاكتشاف ويُحرّك قدراته على التفكير والإبداع.

.1**الخيال الواقعي:**

يكون قريبًا من حياة الطفل اليومية لكنه يُضفي عليها مسحة من السحر والجمال، مثال: في قصة الكرة الزرقاء يصبح الشيء المألوف (كرة) رمزًا لعالمٍ جديدٍ من المغامرات، فيتعلم الطفل معنى التعاون والمشاركة عبر تجربة خيالية ذات صلة بحياته.

.2**الخيال الرمزي:**

يُستخدم لتجسيد المعاني والقيم من خلال رموزٍ بسيطة يفهمها الطفل، مثال: قصة السلحفاة والأرنب تقدّم عبر الرمزين (الأرنب والسلحفاة) دروسًا في الصبر والمثابرة دون وعظ مباشر.

.3**الخيال السحري:**

وهو الخيال الذي ينقل الطفل إلى عالمٍ فوق واقعيٍّ مليءٍ بالعجائب، كالحيوانات المتكلّمة أو الأشياء التي تحيا، مثال: في أليس في بلاد العجائب، يعيش الطفل تجربة خيالية تجعل المستحيل ممكنًا، مما يُنمي لديه الإبداع والتفكير غير النمطي.

ثالثًا: الخصيصة التربوية والقيمية

أدب الطفل لا ينفصل عن التربية، لكنه يُقدّمها في قالب فني غير مباشر.

.1**غرس القيم الإنسانية:**

كالصداقة، والصدق، والعدل، والتعاون، والاحترام. مثال: قصة الأصدقاء الثلاثة التي تُعلّم الطفل أن العمل الجماعي سبيل النجاح.

.2**توجيه السلوك بطريقة فنية:** فبدلًا من النصح المباشر، يُعرّف الأدب الطفل بنتائج الأفعال عبر الأحداث، مثال: في قصة الراعي الكذّاب يتعلّم الطفل أن الكذب يجرّ الخسارة دون أن يشعر بأنه في درس أخلاقي.

.3**التربية الجمالية:** يُنمّي أدب الطفل إحساس الصغير بالجمال في الطبيعة واللغة والسلوك، فمن خلال الصورة الشعرية الجميلة أو الحدث النبيل يتعلّم الطفل تذوّق الجمال في الحياة.

رابعًا: الخصيصة النفسية

الطفل يختلف عن الراشد في طريقة التفكير والإدراك، لذا فإن أدب الطفل يُبنى على أسسٍ نفسية تراعي خصائص نموّه.

.1التماهي مع الأبطال:

الطفل يعيش القصة لا يقرأها فقط، ويتماهى مع البطل الذي يمثل مثله الأعلى. مثال: عندما يقرأ قصة عقلة الإصبع لكامل كيلاني، يشعر أنه البطل الصغير الذي ينتصر رغم ضعفه، فيكتسب الثقة بالنفس.

.2مخاطبة الانفعالات:

يُراعي أدب الطفل العواطف الطبيعية مثل الخوف، والفرح، والفضول، فيُعبّر عنها ويُهذّبها.، مثال: في قصة الطفل الذي خاف من الظلام، يتحول الخوف إلى شجاعة عبر حدثٍ بسيطٍ يمر به الطفل.

.3الإحساس بالأمان والطمأنينة:

الأدب يمنح الطفل شعورًا بالاستقرار النفسي من خلال نهايات سعيدة وعدالة انتصرت فيها القيم الإيجابية.

خامسًا: الخصيصة الجمالية والفنية

أدب الطفل في جوهره فنٌّ أدبي، لذا فهو يخضع لمقاييس الجمال الأدبي مثل الحبكة، والصورة، والإيقاع، والتشويق.

.1البناء الفني:

يتميّز أدب الطفل بالوضوح والترابط في الأحداث، والبداية الجاذبة، والعقدة البسيطة، والنهاية المريحة، مثال: في قصة السمكة الصغيرة نجد البداية بجوٍّ طبيعي هادئ، ثم مغامرة داخل البحر، ثم نهاية سعيدة تُعيد التوازن.

.2التشويق:

يعتمد الكاتب على عنصر المفاجأة أو الموقف الطريف لجذب الطفل ومتابعته حتى النهاية. القصة التي تزرع الفضول في بدايتها تُشجّع الطفل على القراءة الدائمة.

.3الصورة الفنية:

الكاتب يستخدم الصور الحسية والخيالية القريبة من عالم الطفل: الألوان، الأصوات، الحركة، الضوء، مثال: "طار العصفور فوق الغيمة البيضاء وغنّى للطفل نغمة الصباح" — هذه الصورة البسيطة تفتح خيال الطفل نحو الطبيعة والحياة.

سادسًا: الخصيصة المعرفية والتعليمية

أدب الطفل مصدر معرفة، لكنه يقدّمها بطريقة فنية لا تُشعر الطفل بأنه يدرس.

.1تبسيط المعرفة:

يحوّل المفاهيم المعقّدة إلى صور حسية بسيطة. مثال: في قصة رحلة النحلة العاملة يتعلم الطفل دورة حياة النحل من خلال مغامرة لطيفة.

.2ربط العلم بالحياة:

يُعرّف الطفل بعلاقته بالبيئة والطبيعة والمجتمع، مثال: قصة الأرض العطشى تعلّمه أهمية الماء والمحافظة عليه من خلال حوار بين الشمس والزهرة والنهر.

.3تنمية التفكير:

الأدب يدرّب الطفل على التساؤل والاستنتاج، لأن كل قصة أو قصيدة تثير سؤالًا في ذهنه: ماذا سيحدث بعد ذلك؟ ولماذا؟ وهذا يُنمّي التفكير العلمي والخيالي معًا.

سابعًا: الخصيصة الاجتماعية والثقافية

.1تعزيز الانتماء:

يُسهم أدب الطفل في بناء الهوية الثقافية والوطنية من خلال القصص التي تمجّد الوطن والبطولة والتعاون، مثال: قصص أبطال الجزائر الصغار التي تُعيد للأذهان قيم الشجاعة والنضال.

.2التفاعل مع المجتمع:

يعكس أدب الطفل البيئة الاجتماعية والواقع الثقافي، فيتعرّف الطفل على مهن، وعادات، وأماكن بلده، مثال: قصة الطفل والفلاح تُظهر قيمة العمل والإنتاج والاحترام المتبادل.

.3احترام الآخر:

من خصائص الأدب الجيد أنه يُرسّخ في الطفل قيم التسامح، والتعاون، وتقبّل الاختلاف الثقافي، مثال: قصة أصدقائي من كل مكان تُعلّم الطفل كيف يعيش بسلام مع من يختلفون عنه في اللون أو اللغة.

ثامنًا: الخصيصة المرحية والترفيهية

اللعب عنصر أساسي في عالم الطفل، ولذلك فالأدب الجيد يجب أن يُمتع الطفل قبل أن يعلّمه، فمن خلال المتعة والضحك والمفارقة يترسّخ المعنى التربوي بسهولة، مثال: في قصص ميشو الماكر أو الفأر الفضولي، يعيش الطفل مغامرة طريفة تجعله يضحك ويتعلم في الوقت نفسه، فالمتعة هنا ليست هدفًا منفصلًا عن التعلّم، بل هي طريقٌ إليه.

تاسعًا: الخصيصة البصرية (في أدب الطفل المصوّر)

تُعدّ الصورة جزءًا لا يتجزأ من النص في كتب الأطفال، فهي تُكمل المعنى وتثير الخيال، فالعين تتعلّم قبل الأذن، والطفل يستوعب الفكرة من خلال الألوان والأشكال والرموز، مثال: في كتب الأطفال الحديثة، نجد أن الصورة قد تروي القصة حتى دون كلمات، كما في كتاب السمكة التي أرادت الطيران، حيث تتحوّل الرسوم إلى سرد بصري يُحرّك الخيال ويُغني المعنى.

عاشرًا: الخصيصة العمرية (مراعاة مراحل النمو)

لكلّ مرحلة عمرية من الطفولة أدب يناسبها من حيث اللغة والمضمون، فالكاتب الجيد هو من يُراعي هذه الفروق في كتابته:

المرحلة	العمر	نوع الأدب المناسب	الخصائص
الطفولة المبكرة	3–6 سنوات	القصص المصوّرة والأناشيد	جمل قصيرة – صور كثيرة – إيقاع موسيقي
الطفولة الوسطى	7–9 سنوات	القصص القصيرة والمغامرات البسيطة	أحداث واقعية – حوار مشوق – قيم واضحة
الطفولة المتقدمة	10–12 سنة	الروايات المصغّرة والمسرحيات	حبكة متكاملة – رمزية – قضايا واقعية

الخاتمة

إنّ خصائص أدب الطفل ليست عناصر فنية معزولة، بل هي شبكة متكاملة تجمع بين اللغة والخيال والجمال والتربية والمعرفة، فالكاتب الذي يُتقن هذه الخصائص يستطيع أن يخاطب الطفل بلغة الفن، ويزرع فيه حبّ القراءة، والخيال، والجمال، والقيم، ولذلك فإنّ أدب الطفل، في جوهره، هو فنّ التربية عبر الجمال، وبناء الإنسان من خلال الكلمة التي تُمتع وتُثري وتُنير.